



العلامة اللغوية بين قدامى العرب و دي سوسير

عاصم شحادة علي

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

muhajir4@iiium.edu.my

Received: 28 Sept. 2014,

Revised: 17 Oct. 2014, Accepted: 23 Nov. 2014

Published online: 1 Jan. 2015



العلامة اللغوية بين قدامى العرب ودي سوسير

عاصم شحادة علي

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

الملخص

ظلت الدراسات اللغوية تعتمد على النصوص المكتوبة لإعادة صياغة البنية النحوية للغة الأصلية، وفي بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر اهتم الباحثون باللهجات الحية في إطار الدراسات المقارنة، وظهرت مدارس اهتمت باللغات الهندو-الأوروبية وباللهجات السامية، وقد رأت أن اللغة موجودة في الفرد، وأن ما يحدث من تغيرات صوتية أو دلالية فيها يعود إلى الفرد، وما زالت هذه الدراسات وثيقة الصلة بأعمال النحاة الجدد، كفيلهلم فون هامبولتو، ورايت، وسوسير وأندريه مارتينية، وإدوارد سابير وفرانز بواس وليوناردو بلومفيلد وغيرهم. بدأت الدراسات اللغوية المعاصرة تأخذ منحى جديداً في مجال التطبيق، وكان لبعض النظريات إرهاصات سابقة. ستقوم الدراسة بتتبع جهود فرديناند دي سوسير وتأثير محاضراته في الدراسات اللغوية في أوروبا وأميركا؛ إذ قدم ملاحظات مهمة حول طبيعة اللغة وكيفية دراستها، واقترح أن تصنف اللغة ضمن حقل يدرس فيه جميع أنظمة العلامات والإشارات وما يتعارف عليه الناس من رموز ودلالات، وعالج اللغة عبر ظواهر ثنائية منها: ثنائية اللغة والكلام، ودراسة اللغة بالبعدين التاريخي والوصفي، والعلامة اللغوية، والعلاقة بين العناصر اللغوية، وثنائية السيمولوجيا؛ أما القدامى العرب فتناولوا ما عالجه دي سوسير من قضايا لغوية نجد فيها تكاملاً بين الجهد اللغوي العربي القديم، وجهوده في اللغة في الأمور الآتية: التصريق بين اللغة واللسان واللغة والكلام بين دي سوسير والجرجاني، والعلاقة بين الكلمات في التعبير، والعلامة اللغوية.

الكلمات المفتاحية: سوسير، اللغة، العلامة اللغوية، السيمولوجيا، القدامى العرب.



Linguistic Sign: Between the Ancient Arabs and De Saussure

Asem Shehadeh Ali

Islamic University of Malaysia

Abstract

Linguistic studies remained reliant on written texts to recast the grammatical structure of original language. At the beginning of the nineteenth century researchers focused on modern dialects in the context of comparative studies and many schools appeared to deal with languages of the Indo-European and Semetic dialects, where it was found that the individual language of the human being and the changes that happen on his/her voice or the semantic changes are because of the person himself/herself. These studies are still relevant to the work of neo-grammarians as; Kvelhelm Fone Hambolto, Wright, Saussure, Andre Martanyh, Edward Sapir, Franz, Boas, Leonard Bloomfield and others. A contemporary linguistic study took a new direction in the field of applied study, and was to some theories, the harbingers of precedent. This study will track the efforts of Ferdinand de Saussure and the impact of his lectures in linguistic studies in Europe and America; since he introduced important observations about the nature of language and its study. De Saussure found that the language study is within the field of system that all signs, signals, what the people recognize as symbols and semantics. The language is categorized through the bilateral phenomena including: bilingual speech, language study by its dimensions; historical and descriptive, the linguistic sign, the relationship between linguistic elements, and bilateral semiology. The ancient Arab dealt with issues of language that are done by de Saussure. The study discovered the integration between the efforts of ancient Arabs in the following matters: the distinction between language, tongue and speech; the distinction between de Saussure and Jurjani and the relationship between words in speech, language and signs.

Keywords: Saussure-language, Linguistic Sign, semiology, Ancient Arabs.

العلامة اللغوية

بين قدامى العرب ودي سوسير

عاصم شحادة علي

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

المقدمة :

تعد الدراسات اللغوية حالياً من الموضوعات الأساسية التي ينبغي على الباحثين الإمام بموضوعاتها المتنوعة التي تتمحور في دراسة اللغة العربية في مستوياتها الأربعة، ومن هذا المنطلق بدأ اللغويون المعاصرون بدراسة اللسانيات المعاصرة عبر عناوين مختلفة للكتب المعاصرة التي تناولت اللسانيات المعاصرة، بمضامين مختلفة، حيث نجد أن هذه الكتب يعتمد عليها الدارسون بشكل عام في دراسة اللسانيات وعناصرها، فبعض هذه الكتب يعرض لنا مفاهيم اللغة، وموقف القدامى والمعاصرين الغربيين من اللغة، وتتضمن بعض المستويات اللغوية وتفاصيلها، وبعضهم يتناول موقف القدامى من القضايا المتعلقة باللسانيات؛ أما المستويات اللغوية وقضاياها، فقد تناولتها بعض الكتب وتحدثت عن المستوى الصوتي، فذكرت الفونيم وعناصره، والمقاطع والتنغيم والنبر والوقف؛ وأما المستوى النحوي فتناولوا قضايا الترتيب داخل التراكيب، وعن المستوى الدلالي كان التحدث عن نظرية السياق لدى الغربيين والقدامى، والدلالة وأنواعها، وبعض الكتب تحدثت عن المستوى الصرفي فتحدثت عن المورفيم والكلمة والمورف والألومورف. ونجد أحياناً بعض الكتب تتحدث عن موقف الأصوليين من اللغة العربية، وربطها مع المعاصرين وتناولهم للغة، من هنا كانت هذه الدراسة للدارسين في هذه الجامعة

كي يستوعبوا عناصر مهمة لها علاقة باللسانيات التي ذكرها الغربيون، وبالمدارس الغربية في دراسة اللغة وأشهر علمائهم الذين كان لهم دور في التأسيس لدراسة اللغة عبر منهجية كان لها الأثر في فهم اللغة لكل قوم، ومن أشهرهم: دي سوسير، وفيرث، وتشومسكي وغيرهم، فضلاً عن التحدث عن التراث العربي القديم في دراسة اللغة على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر أخذ مفهوم «اللغة» وطبيعتها ووظيفتها ودراستها في التغيير، وقد أحدث ذلك التغيير جهوداً متلاحقة بذلها علماء الغرب لدراسة معظم لغات العالم وصفاً وتاريخاً ومقارنة، وللوصول من ذلك إلى نظرية أو نظريات عامة في (اللغة) تكشف عن حقيقتها نشأة وتطوراً، وتبرز (القوانين)، أو الأصول العامة التي تشترك فيها لغات البشر وتعين على تحديد مناهج الدراسة اللغوية وتدقيقها ووسائلها. وقد عرفت اللغة بأنها قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما، وهذا التعريف في واقع الأمر يقرر مجموعة من الحقائق هي: أن اللغة قدرة ذهنية تتكون من مجموع المعارف اللغوية، بما فيها المعاني والمفردات والأصوات، والقواعد التي تنظمها جميعاً، تتولد وتنمو في ذهن الفرد ناطق اللغة أو مستعملها، فتمكنه من إنتاج عبارات لغته كلاماً أو كتابة وتمكنه من فهم مضامين ما ينتجها أفراد

محاضرات في علم اللسان العام،^١ وهي كما يأتي: قدم ملاحظات مهمة حول طبيعة اللغة وطبيعتها وكيفية دراستها، واقترح أن تصنف اللغة ضمن حقل يدرس فيه جميع أنظمة العلامات والإشارات، وما يتعارف عليه الناس من رموز ودلالات، وأطلق عليه علم النغمات SEMIOLOGY أو علم السيموطيقا.^٢

١- ثمة ترجمات عدة لهذه المحاضرات التي قام بجمعها تلاميذه، وكان أصل النشر باللغة الفرنسية بعنوان: COURSE DE LINGUSTIQUE GENERALE. وقام بترجمة الكتاب من الفرنسية إلى الإنجليزية واد باسكين WAD BASKIN وترجم إلى لغات عدة كالألمانية والأسبانية والملايوية وغيرها. ومن الترجمات المشهورة لهذه المحاضرات: فرديناند دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، نقله إلى العربية: (من الإنجليزية) أحمد نعيم الكراعين (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥)؛ ومحاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني (من الفرنسية)، مراجعة: أحمد حبيبي (المغرب: أفريقيا الشرق، ١٩٨٧)؛ فرديناند دي سوسير، دروس في الأسس العامة، ترجمة: صالح الفرماوي، ومحمد عجينة، ومعيد النصر (طرابلس- لبنان: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥م).

وقد تأثر سوسير بثلاثة علماء لغويين من قبله أثروا فيه مباشرة، وهم: دي ويتني D. WHITNEY (١٨٢٧م-١٨٩٤م)، وقد طرح مفهوم القانون اللغوي والنظام اللغوي والبنية اللغوية، وهي من المفاهيم التي قام عليها علم اللغة الوصفي، مما دفع سوسير إلى الأخذ بمبدأ اللسانيات السانكرونية (الوصفية)، ويُعدُّ (ويتين) اللغة مؤسسة اجتماعية. وأما العالم الثاني فهو يودين دي كورتينييه BOUDOUIN DE COURTENAY (١٨٤٥م-١٩١٤م)، وقد تأثر سوسير منه بتحديد الوحدات اللسانية وتصور اللغة بوصفها نظاماً من الخلافيات، والعالم الثالث هو بيرس CH. S. PEIRCE (١٨٣٩م-١٩١٤م) الذي تحدث قليلاً عن الدليل اللغوي، مما كان ذا أثر في سوسير لبناء علم السيميائيات. انظر ما ذكرناه بتصرف في: محمد الحناش، البنيوية في اللسانيات (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٩٩١) ١٨١-١٨٢؛ محمد علي الحسيني، علم اللغة التوحيدي بين النظرية والتطبيق (طهران: سلسلة كتاب التوحيد، ط١، ١٩٩٧) ١٨.

٢- كان لهذا الاقتراح أثر في تفسير الظواهر والنشاطات الاجتماعية المعاصرة، حتى كان له أثر وتأثير في نظرية العالم أميل دوركهايم EMILE DARKHEIM (١٨٥٨م-)، وسيجموند فرويد رائد علم النفس التحليلي، وقد ساهم هؤلاء ببحوث قيمة حول طبيعة الظواهر الاجتماعية وتوصلوا إلى أن اللغة والسلوك والتقاليد والعادات والثقافات والأعراف لم تفسر قبلهم تفسيراً علمياً، ولم تعرف وظيفتها ومكانتها عبر نظام حيوي شامل لها، فالاجتمع لدى دوركهايم نظام التقاليد والعقائد الجامعة، والنفوس عند فرويد نظام لتحليل دوافع الشخصية، أي معرفة الظواهر الاجتماعية ومعرفة الأفراد وتجاربهم في المجتمع ينتج عن معرفة حقيقية للأنظمة والقوانين المتعارفة التي تعطي الأحداث والأشياء معانيها؛ انظر: الحسيني، علم اللغة التوحيدي بين النظرية والتطبيق، ١٦١.

مجموعته من هذه العبارات، وبذلك توجد الصلة بين فكره وأفكار الآخرين، وتتداخل في تكوين هذه القدرة عوامل فسيولوجية تتمثل في تركيب الأذن والجهاز العصبي، والمخ والجهاز الصوتي لدى الإنسان؛ وهذه القدرة تكتسب ولا يولد الإنسان بها، وإنما يولد ولديه الاستعداد الفطري لاكتسابها، ويدفعه لهذا الاكتساب في العادة شعوره بالانتماء إلى مجموعته البشرية نفسياً واجتماعياً وحضارياً، ورغبته في التعايش، وتبادل المنافع والمصالح بينه وبين أفراد هذه المجموعة؛ وهذه القدرة المكتسبة في طبيعتها تتمثل في نسق متفق، أو متعارف عليه بين أفراد ما يطلق عليه الجماعة اللغوية، أو الجماعة الناطقة بلغة ما، وتتدخل في تكوين هذا النسق في العادة وحدات، أو أنساق أخرى متفرعة يرتبط بعضها ببعض.

فرديناند دي سوسير (١٨٥٧م-١٩١٣م) Ferdinand De Saussure: ارتبط المنهج الوصفي لدراسة اللغة بفرديناند دي سوسير العالم السويسري الذي نشر مذكرة بعنوان "النظام البدائي لأحرف العلة في اللغات الهندو-أوروبية"، ومن أهم الأفكار التي وردت في مذكراته

يتكلم بها فعلا، وهي الكلام. والتمييز بين هذه المفاهيم له نتيجة، ومنها:

- أن كلام الفرد فردي يقوم على عنصر الاختيار، ولا يمكن التنبؤ به، ولذلك لا يمكن دراسته دراسة علمية.
- اللغة العامة بمعناها العام ليست واقعة اجتماعية نقية؛ لأنها تضم جوانب فردية واجتماعية.
- اللغة المعينة هي التي تمارس فرضا على المتكلمين الأفراد، وهي عامة وواقعية واجتماعية، فهي بذلك تجريد يصلح للدراسة وتخضع للصياغة العلمية. ويمكن التمييز بين الكلام المتغير بطبيعته *la parole* وبين اللغة المجردة الثابتة بطبيعتها *la langue* عبر المثال الآتي: المعجم اللغوي للغة ما، مثلا اللغة الماليزية، ثابت يرجع إليه كل باحث، والمتكلم الماليزي الذي يجيد لغة أخرى غير الملايوية مثلا الفرنسية، توجد في ذهنه نسخة أخرى من ذلك المعجم الذي وزع افتراضا على سائر أفراد تلك اللغة، وراثيا واكتسابيا؛ لكنهم أثناء التحدث أو الكلام يمتازون كل حسب ما يختار من هذه المفردات والتعبيرات المجردة، لذلك رأى سوسير أن يُعنى بدراسة هذا الجانب من اللغة *la langue* وليس الكلام *la parole*.^٢

٢- انظر: دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قتيبي، ١٦؛ صلاح الدين صالح حسين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٤)، ٢٢؛ كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٤)، ٥٤؛ أحمد دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية (القاهرة: مكتبة الرشد، ٢٠٠٢)، ٧٨؛ محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام (بيروت: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٢م)، ٢٢؛ عاطف فضل، مقدمة في اللسانيات للطلاب الجامعي (عمان: دار الرازي، ط١، ٢٠٠٥)، ٦٤؛ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨)، ٢٨؛ جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية-إثنية-دينية، ترجمة: عبد النور خراي (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠٧)، ٧٦؛ وقد قارن بين سوسير والعالم فولوشينوف (١٨٩٥م-١٩٣٦م) صاحب نظرية أن اللغة لا تملك بعدا فرديا وإنما الكلام هو الذي يملك بعدا فرديا؛ صبري إبراهيم السيد، تشومسكي وفكره اللغوي (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩)، ٢٢؛ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦م)، ١٦.

١- أسس نظرية دي سوسير ومبادئها:
عالج سوسير اللغة عبر ظواهر ثنائية، من أهمها:

أ- ثنائية اللغة والكلام: ميز سوسير بين اللغة والكلام وطرح سؤالاً على نفسه عن ماهية اللغة، حيث عرّف اللغة بمعناها العام *le langage* بأنها ظاهرة اجتماعية عامة لا يستغني عنها المجتمع الإنساني، وهي تخرج عن نطاق الفرد، فلا يستطيع بمفرده أن ينشئها ولا يمكنه تعديلها، وهي نظام من الرموز المتباينة التي تعبر عن أفكار مختلفة، وهي شيء ممكن أن يدرس منفصلة عن الكلام، وتختلف عن اللغة المعينة *la langue* ويقصد بها عادات مجتمع معين للتواصل والتفاهم والأفكار؛ ولذلك ميز بين الكلام *la Parole* بوصفه نشاطاً عضلياً صوتياً لدى الفرد بشقيه النفسي والاجتماعي، وكان تقسيمه للغة، كالآتي:

- اللغة بشكل عام *le langage*، وتقرأ (لا كاج)، بقلب الجيم إلى شاف مشددة كما في لفظ الحرف S في كلمة *pleasure*، وهي القواعد العامة للغة، وهي نظام مشترك يحدد ملامح كلام أعضاء هذه الجماعة.

- اللغة المعينة *la langue* وتقرأ /lāg/ وهي تعبر عن العادات التي نتعلمها من المجتمع الكلامي، وبها تتصل بالآخرين، ويكون بينها الفهم المتبادل، ويمكن أن يعبر عنها بالمعادلة الآتية:

la langue le langage + la parole

- كلام أو لغة الفرد *la parole*، وتقرأ (par l) بارل، وهي اللغة التي يتكلمها الفرد وتصدر عن وعي وليس واقعة اجتماعية، وهي عبارة عن علامات صوتية، ولذلك ذهب تشومسكي إلى القول بأن النشاط اللغوي مظهر ذهني ومظهر واقعي؛ أما الذهني فيتمثل في الصور الذهنية في عقل الجماعة اللغوية، وهي اللغة، ولها تصوران: أحدهما تصور اللفظ بأصواته وهيئته، والثاني في تصور ارتباط الأصوات هذه المرتبة ترتيباً معيناً في اللغة والمظهر الواقعي يتمثل بالأصوات أو نظام الرموز التي

يتم التعبير عنه بصورة سمعية (الدال) ورمز لكل منهما بالمعادلة الآتية: مدلول signifier ودال significant حيث الدور للأصوات بوضع الرمز اللغوي في مكان محدد في متواليه من الأصوات، وهذا الرمز ما هو إلا جمع نفساني بين دال أو مدلول، ويقصد بذلك أن الدال لا يوجد متحداً مع مدلول، وعند انعدام المزج بينهما لا تبقى إلا الصورة السمعية أو الذهنية أو النفسانية لمتواليه من الأصوات، فمثلاً نجد في اللغة العربية الأفعال: (كتب، جلس) تشير إلى دال أو تصور يمتزج بالمدلول، ويمكن تشبيه العلاقة بين التصور (الدال) والكلمة (المدلول) بالورقة التي لها وجهان، وهما: الوجه الأول وهو الدال، والوجه الثاني وهو المدلول (الوجه والظهر للورقة)؛ لذلك لا يمكن وجود وجه للورقة دون وجود ظهرها، ولذلك يستحيل وجود مدلول دون وجود دال^٥.

بمعنى آخر يرمز للرمز اللغوي تارةً بالعلامة اللغوية، حيث جعل سوسير اللغة نظاماً من العلامات، والبحث العلمي يؤمن بوجود أشياء محدودة ومعينة، وما يعبر به الناس عن اللغة يعد

٥- انظر ما ذكره دي سوسير بتفاصيل حول هذين المنهجين مع الأمثلة التي تؤكد على ما يرنو إليه في كتابه «محاضرات في علم اللسان العام»، ترجمة: عبد القادر قنيني، ص ٨٥، ص ١٠٥-١٢٧، وقد ذكر أمثلة تؤكد منهجية الدراسة التاريخية عبر تطور الكلمة اللاتينية crispus بمعنى جعد، واشتقاق اللغة الفرنسية منها الأفعال: وهو الجذر crepir بمعنى الطلي بالطين، ومثال آخر له صفة العموم مثل: gast في الألمانية القديمة التي تعني (ضيف) وجمعها gastu، وكذلك الحال بالنسبة إلى لفظ hant بمعنى (يد) وأيد بمعنى hanti حيث كان للحرف الصائت أثر في تغيير المعنى وهكذا. انظر ما ذكره العلماء الآتية أسماؤهم حول المنهجين الذين تناولهما سوسير كما يأتي: الحناش، البنيوية في اللسانيات، ص ١٨٥؛ دراج، الاتجاهات المعاصرة، ص ٧٩؛ حسام الدين، أصول تراثية، ص ٥٤؛ جفري سامبسون، المدارس اللغوية: التطور والصراع، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د. ت) ٢٩؛ خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها (جدة: عالم المعرفة للتوزيع، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ٤٠-٤٢؛ الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص ٢٤؛ رمزي منير بعلبكي، فقه اللغة المقارن (بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، د. ت) ٢١؛ حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي، ص ٦٤؛ وغيرها من المراجع الحديثة الكثيرة التي اعتمدت على ما ذكره الحناش في كتابه «البنيوية في اللسانيات» وما ذكره المترجمون لكتاب سوسير بطريقة تكاد تكون متشابهة مع اختلاف في أسلوب الطرح وفتيته.

ب- دراسة اللغة بالبعدين التاريخي والوصفي: طور سوسير نظريته في منهج البحث اللغوي، حيث قرر - كما ذكرنا - اللغويون الشبان أن دراسة اللغة الصحيحة تتم عبر الدراسة التاريخية diachronic (الدياكرونيكية) والدراسة الوصفية synchronic (السايكرونيكية)، وذكر سوسير في كتابه قضية أن تدرس اللغة في مراحل خاصة أو حالة استقرارها في بيئة مكانية وزمانية محددة، وأطلق على ذلك synchronic وتعني كلمة (syn) (في)، وكلمة (chronic) بمعنى زمن دراسة اللغة، وكلمة (dia) بمعنى (عبر) وكلمة (chronic) بمعنى زمن، أي دراسة اللغة عبر الزمن^٦. وشبه دراسته بدراسة مقطع أفقي ومقطع رأسي، فالأفقي يصف حالة خاصة ومحدودة للغة، والتي يمكن فيها وصف الخلايا والألياف والحلقات؛ بمعنى تحديد الزمان والمكان وربطه بما يجاوره، وهكذا في اللغة حيث شبه اللغة بالخلية cell التي تتكون من عناصر تكونها.

فالمنهج التاريخي أو التزامني يتتبع تطور اللغة عبر الزمن، وقد تكون نتائجه غير دقيقة ويدمج المعطيات اللغوية دون تصنيف لها، أما البعد الوصفي أو التزامني فيعني بدراسة اللغة لعصر معين بالاعتماد على الاستقراء الشامل للأمثلة، ويستبعد عنصر الزمن ويركز على الظواهر المتعاصرة. ويرى سوسير في الدراسة الوصفية طرح كل ما له علاقة بنتاج اللغة، والنظر إلى حالة الثبات لها؛ لأن وصف اللغة يقتضي الاستقرار أما التطور فمسألة أخرى.

ج- العلامة اللغوية (الدال والمدلول): تناول سوسير العلامة بين اللفظ والمعنى ورأى أنها علامة اعتباطية، حيث بين سوسير أن الرمز اللغوي اتحاد تصور مع صورة (سمعية أو ذهنية أو نفسية)، ويميز بين الكلمة والشيء، ويقصد بالكلمة ما نسمعه أو نطقه أو نكتبه أو نقرؤه، وهي المظهر التعبيري الحسي لما يتمثل بالرمز اللغوي، وأشار سوسير إلى أن التصور concept وهو المدلول

٤- انظر: ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر (القاهرة: عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٧) ٢٦.

د-العلاقة بين العناصر اللغوية: قسم
سوسير العلاقات القائمة بين عناصر الجملة إلى
قسمين عبر عنهما بمحورين، وهما:

-المحور الرأسي أو الاستبدالي paradigmatic،
حيث يمكن عبر هذا المحور تبادل الكلمات أو
العلامات التي تأخذ موقعا ما في الجملة، وهي
علاقة بين كلمات في الجملة يستطيع أن يحل محل
بعضها في السياق نفسه، ومن ذلك قولنا:

حفظ الولد القرآن الكريم

حفظ البائع القرآن الكريم

حفظ محمد القرآن الكريم

حفظ المسلم القرآن الكريم

والمعنى صحيح بسبب العلاقة الجدولية الرأسية.

-المحور الأفقي أو النظمي sentegmatic،
ويقصد به لدى سوسير العلاقة بين كلمة وأخرى
في الجملة وفي السياق نفسه، كالعلاقة بين كلمات
الجملة الواحدة أو العلاقة بين أصوات الكلمة
الواحدة، ومثال ذلك: وصل المعلم، فالعلاقة بين
الكلمات (وصل) و(المعلم) علاقة أفقية، وهي
علاقة المسند (وصل) والمسند إليه (المعلم)،
وعلامة المسند إليه (المعلم) هو (الفاعل) الضمة؛
أما المسند (الفعل وصل) فهو فعل ماض مبني وهو
مفرد مذكر، وكذلك المسند إليه (المعلم). فهذه
العلاقة يمكن أن تكون في اللغة العربية حسب
الإعراب والموقعية، ويطلق عليها العلائق التركيبية.^٨

مستودعا من العلامات اللغوية فهمها الناس على
أنها مفردات اللغة أو الصلة بين اللفظ والشيء
الطبيعي onomatopoeia، وهذه العلامة اللغوية
لا تصل الشيء باللفظ ولكنها تصل التصور
بالصورة السمعية.^٩

وأكد سوسير على اعتبارية العلامة اللغوية
بين الدال والمدلول، ورأى أنها ليس بينها وبين ما
تدل عليه أية علاقة صورية تجعلنا نعرف هذا
بمجرد رؤيتنا لذلك. فمثلا كانت العلامة اللغوية
تدل على ما هو في الواقع الخارجي linguistics-
extra بطريقة حسية؛ بمعنى أن العلامة اللغوية
تثير ما هو في الواقع؛ فمثلا الشجرة هي الشجرة
سواء أكان ذلك في اللغة العربية أم الإيطالية أم
الفرنسية أم الروسية أم الملايوية أم الأسبانية،
ففي اللغة الماليزية مثلا نقول الشجرة (pokok) وفي
الفرنسية (arbre) والروسية (Aepebo) والإنجليزية
(tree) والإيطالية (albero)، وكذلك دوال (ماء)
في العربية يقابله دوال في اللغات الأخرى، في
الإنجليزية نقول: water، وفي الألمانية نقول wasser،
وفي الفرنسية نقول eau / o، حيث يختلف الدال
من لغة إلى أخرى؛ ولكن المفهوم الذهني يبقى هو
نفسه المتصور الذهني لجميع اللغات.^{١٠}

٦- انظر ما ذكره حول هذا الموضوع في: دي سوسير، محاضرات في علم
اللسان العام، ١٤٥: دراج، الاتجاهات المعاصرة، ٨١: الحناش، البنيوية في
اللسانيات، ٢٠٠-٢٠٤.

٧- انظر ما ذكرناه من كلمات في اللغات المختلفة في: جماعة من
أساتذة اللغة، كيف تتعلم اللغة الفرنسية بدون معلم (بيروت: دار
الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٦٣)؛ مصطفى آل عيال، الإيطالية
من غير معلم (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٠)؛ يادفيغا
كورشونوفا وعبد السلام علي الشهباز، كتاب المحادثة المدرسي:
عربي-روسي (موسكو: دار اللغة الروسية للنشر، ١٩٨٦) ٣٠٥؛ وما
ذكره عبد الله الغدامي، الخطيئة والتفكير (د. ط، ط، ١٩٩١) ٣٠؛
وانظر: محمد سالم سعد الله، مملكة النص: التحليل السيميائي
للنقد البلاغي (عمان: جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٧م) ١٠٦.

Karim, Nik Safiah., Farid Onn, Hashim Musa, Abdul
Hamid Mahmood. 1995. Tatabahasa Dewan, Dewan
Bahasa Pustaka, Kuala Lumpur

٨- انظر ما ذكره حول الموضوع: دي سوسير، محاضرات في علم
اللسان العام، ترجمة محمد قتيبي، ص ٢٥-٢٦ بتصرف، ١٥٨؛
سامبسون، المدارس اللغوية، ٥٠؛ حسنين، دراسات في علم اللغة
الوصفي، ٦٦؛ دراج، الاتجاهات المعاصرة، ٨٢؛ الحناش، البنيوية
في اللسانيات، ٢٠٩؛ رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة:
بدر الدين قاسم (دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٠) ٥٦ وما
بعدها؛ قدور، مبادئ اللسانيات، ١٩.

بالثبات، ولذلك فالكتابة هي التي تسبب غموض اللغة في الغالب.^{١٠}

في ضوء ذلك أصبحت اللغة ظاهرة اجتماعية لها عناصر مترابطة وتحتوي عناصر فونولوجية ومعجمية وقواعدية، وليست كيانات مكتفية بذاتها، ومن ثم فاللغة شكل وليست جوهرًا، ولا يمكن أن تعمل بوصفها علامات لغوية أو رموزًا لغوية إلا عبر خصائص تميزها عن غيرها، والفروق هي التي توضح ملامح الصورة السمعية (الأصوات) كما ذكر العالم هيلمسليف. وكان لسوسير أثر بليغ في وضع دعائم تأثير اللسانيات الوصفية، وأثرها في المدارس اللغوية الأوروبية، وسنحاول في هذه المقالة تناول أهم مبادئ هذه المدارس وذلك بالتطرق إلى أهم علمائها.

القداامي العرب:

عند النظر في تاريخ اللسانيات في العالم العربي نجد أنها واجهت إشكالية التجديد، وقد تجد اليوم من يحاول أن يتهم اللغوي العربي بخلوه من الملاحظات والمنهجية، وقد رأى بعضهم أن التراث في مجال اللسانيات إما معطيات موصوفة أو مفاهيم وصفية أو أصول وتأملات، ورأوا أن الخطأ الأول في تصور التراث هو اعتقاد أن لا بد من توظيفه في بناء نحو يصف اللغة العربية، وأن

هـ-ثنائية السيمولوجيا: تناول سوسير السيمولوجيا^{١١} من وجهة نظر لغوية، حيث عرف اللغة بأنها: نظام من الإشارات يعبر بها عن الأفكار، ولذا فإنها تشبه نظام الكتابة وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية، ومظاهر الأدب والإشارات العسكرية، واللغة أشدهن قيمة لديه. والسيمولوجيا علم يدرس حركة الإشارات في المجتمع، وهو علم قابل للتصور، وهو جزء من علم النفس الاجتماعي، ومن ثم علم النفس العام، وهو من المصدر الإغريقي Semeion أو sign، وهذا يعني أنه يوضح مكونات الإشارات والقوانين التي يحكمها، ولأن العلم لم يوجد بعد فإنه لا يمكن لأحد أن يقول ماذا سيكون هذا العلم؟ والأسئلة ليست إلا جزءًا من هذا العلم العام، وإن القوانين التي سيكشف عنها علم الدلالة ستكون قابلة للتطبيق على اللسانيات، وبذلك أصبحت اللغة جزءًا من السيمولوجيا، والإنسان بطبعه يميل إلى الصورة الكتابية أكثر من الصورة الصوتية، ولذلك يعتني بقواعد الإملاء orthograph؛ وقد ميز سوسير بذلك بين النطق والكتابة، ورأى أن النطق يسبق الكتابة، ويتميز النطق بالتغير، وأما الكتابة فتتميز

١٠- انظر: دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ٣٥، ٦٧. (فصل تصوير اللسان عن طريق الكتابة المنظورة). وأشار سوسير إلى ما ذكرنا أعلاه، ورصد الخلط الذي يقع فيه اللغويون عند معالجتهم للغة والكتابة كأنهما شيان متلازمان، وهذا عنده - مجاف للحقيقة بدليل اختلاف النطق عن الكتابة في الإنجليزية، ومن أمثلة ذلك في كتابه، ٤٨، أننا نقرأ بطريقتين؛ فالكلمة الجديدة أو المجهولة لنا نتهجها حرفًا حرفًا، أما الكلمة المألوفة لنا والمعتادة فإننا ندركها بلمحة واحدة في استقلال عن مجموع الحروف التي تتألف منها. وإن صورة هذه الكلمات تكتسب بالنسبة لنا قيمة ومعنى، فمثلا في رسم الكلمة ذاتها. وهنا يمكن للكتابة الإملائية التقليدية أن تطالب بحقوقها من أجل الحروف، والكلمات قد تختلف في الرسم المكتوب ولكنها تشترك في الصوت؛ إذ إن من المفيد أن نميز بين temps, tant, et, et، وكذلك بين du, dû، وأخيرا بين ils devaient, il devait وغيرها؛ انظر: روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، ٢٢٠؛ جورج مونين، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي (دمشق، وزارة التعليم العالي، ١٩٨٢) ٥١؛ دراج، الاتجاهات المعاصرة، ٨٤-٨٥.

٩- ترجم العلماء العرب المعاصرون كلمة سيمولوجيا بـ(علم العلامات) كما عند المسدي، أو (سيمياء) كما عند نصرت عبد الرحمن وسعد مصلوح، أو (الدلائلية) عند الطيب بكوش، وعند المنصف عاشور أيضا. انظر تفاصيل هذه الترجمات في: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب: نحو بديل أسني في نقد الأدب (ليبيا: الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧) ١٧٨؛ سعد مصلوح، الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية (الكويت: دار البحوث، ١٩٨٠) ١٢؛ الغدامي، الخطيبية والتفكير، ٤٢. والسيمولوجيا علم يدرس حركة الإشارات في المجتمع، وله حقول ثلاثة وهي: العلامات والإشارات والرموز. انظر ذلك في:

Barthes, R. 1983. Elements of Semiology, Translated by A. Lavers and C. Smith, Hill and Wang, New York.,. 38; De Saussure, Ferdinand. Pengantar Linguistik Umum, p 19.

اللغويين المعاصرين بضرورة العودة إلى التراث القديم من أجل التقارب بين بعض جوانبه المهمة وبين المفاهيم اللغوية الحديثة؛ وأبرز تشومسكي أوجه الاتفاق والالتقاء بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية وبين القواعد التي أرساها (ديكارت) التي أطلق عليها قواعد (بورت رويال). ومن العلماء الذين ربطوا الفكر اللغوي القديم والبحث اللساني الحديث ليوردي ولبيتشي ومونان وكريستيفا وروبنز وغيرهم.^{١٤}

لذلك فإن اتهام التراث العربي اللغوي بالنقصان والزيف أحيانا يجب أن يكون في حدود التخصيص لا التعميم، لأن الملاحظات والتحليلات التي أثارها القدامى يمكن أن تعبر عن مناهج المعاصرين في اللسانيات المعاصرة، وهذا جعل كثيرا من علماء الغرب في مجال اللسانيات يتجاهلون جهود القدامى العرب في مجال الدراسات اللغوية لأسباب سياسية أو فكرية أو للجهل المطبق أو لظروف أخرى لا نعلمها.^{١٥}

ومن ناحية أخرى هناك اعترافات للغربيين المعاصرين في الجهود اللغوية العربية القديمة وإسهامها في مجالات عدة، ومنها: الدراسات الصوتية والدراسات المعجمية، حتى أن بعض الغربيين المنصفين قد ألفوا كتباً تتحدث عن جهود

اعتقاد أن الآلة الواصفة للغة العربية المعاصرة أو القديمة تحتاج ضرورة إلى مفاهيم القدامى العرب وأصولهم، اعتقاد خاطئ من وجهة نظرهم.^{١١}

وفي المقابل ثمة من رأى أن العرب القدامى قد أولوا اللغة العربية اهتماما واسعا، وقدموا ملاحظات ذات قيمة حول قضاياها، وتعد رؤاهم هذه بالنسبة لزمانهم متطورة، وقد قاموا بجهود هائلة في دراسة اللغة، واجتهدوا في جمع أصول اللغة ولم شتاتها واستنباط أحكامها العامة، بل رأوا أنه بالإمكان تتبع المفاهيم التي أتوا بها ومقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية المعاصرة.^{١٢}

ففضية العودة إلى التراث القديم ليست شيئا جديدا على المعاصرين العرب، فقد جاء في كتاب تشومسكي «الألسنية الديكارتية»^{١٣} مدى اهتمام

١١- انظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية (بيروت/باريس: منشورات عويدات، ١٩٨٦) ٥١-٦١، وقد أشار إلى أن اللغة العربية الموصوفة وأزمة المنهج في استعمال معطيات القدامى لدى المعاصرين مما جعلهم سجناء مناهج القدامى، ورفض فكرة الحل في كتب النحو العربي القديمة للاهتمام إلى الحل المنشود لبعض القضايا اللغوية، واستدل ببعض المعطيات اللغوية لدى القدامى ورأى أنها ناقصة وغير تمثيلية وزائفة في بعض الأحيان، واستدل من كتاب همع الهوامع للسيوطي عددا من التراكمات المبنية للمفعول عدها بعض القدامى سليمة في التركيب، وهي: «كَيْنَ قَائِمٌ»، و«كَيْنَ قِيمٌ»، و«اخْتِيارَ الرِّجَالِ زَيْداً»، حيث إن غياب التأويلات الممكنة لهذه التراكمات يدل على أنها مصنوعة، ثم أشار إلى قضايا أخرى تقع في هذا الإطار. وتناول بعد ذلك التصور الخاطئ للغة العربية، فهي من وجهة نظره ليست متميزة تتفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى، بل هي كسائر اللغات البشرية الأخرى لها خصائص صوتية وتركيبية ودلالية، ولها ضوابط وقواعد تضبطها، وتناول ادعاء بعض العلماء للعلمية والمنهجية كتمام حسان وأنيس فريحة، وحاول بيان تصورهم الخاطئ للعلم والافتراضات العلمية وغيرها. وانظر في هذا التوجه في نقد معطيات القدامى: أحمد المتوكل، «نظرية المعنى في الفكر اللغوي العربي القديم»، مجلة أفاق، ٨٤ (١٩٨١): ٧٦.

١٢- انظر: ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢) ٧: نهاد الموسى، الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث (عمان: دار البشير، ط٢، ١٩٨٧) ١١-٢٥، وقد أشار إلى جهود القدامى وكيفية اشتراكها مع اللغات الأخرى في مجال النحو المعيارى وبعض القضايا اللغوية.

١٣- انظر:

Chomsky, Noam. 1960. Cartesian Linguistics, New York,

١٤- انظر مؤلفات العلماء الذين ربطوا بين معطيات المعاصرين والفكر اللغوي اليوناني القديم في: أحمد البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات النحوية (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤) ٢.

١٥- انظر مثلا:

R. H. 1997. Short History of Linguistics, Longman, London,

وقد خصص صفحتين فقط تحدث فيها عن الفكر اللغوي العربي القديم، وخصصت كريستيفا خمس صفحات فقط حصرتها في بيان أهمية الفكر اللغوي العربي في العصور الوسطى.

بين اللغة واللسان واللغة والكلام، وعدّ اللسان مختلفاً عن اللغة، ولكنه يقع ضمن اللغة، فمثلاً دي سوسير ميز بين (La Langue) أي اللغة، وبين (La Parole) أي الكلام أو الحديث. وهذا التعريف بين اللغة والكلام ذكره ابن جني في تعريفه لحد اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.^{١٨} ومما ذكره الجرجاني في هذا المجال أنه فرق بين اللغة والكلام بأن جعل اللغة في الجانب النظري، وجعل الكلام في الجانب التطبيقي، وأطلق على الأول (علم اللغة)، وعلى الثاني (الوضع اللغوي)، ومن ذلك قوله: «واعلم أنا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه فنستند إلى اللغة ولكننا أوجبناها إلى العلم بمواضعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأن الواو للجمع والفاء للتعقيب بغير تراخ و(ثم) به يشترط التراخي و(أن) لكذا و(إذا) لكذا، ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت وألّفت رسالة تحسن التخير وأن يعرف لكل ذلك موضعه».^{١٩} وفي هذا النص يركز الجرجاني على معرفة المتكلم للمعنى الذي اختاره، فهو يميز بين العلم باللغة وما يجب أن يقوم به المتكلم؛ حيث أشار سوسير إلى أن اللغة لها أهداف معينة عند الكلام، وهو يربط بين الصورة السمعية والتصور، ولا يستطيع الفرد أن يغير هذا التصور.

١٨- انظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٦)، ١: ٣٢.
١٩- انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٨٦، ١٦٩؛ دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، ترجمة عبد القادر قتيبي، ١٦؛ حسام الدين، أصول تراثية، ٥٤؛ دراج، الاتجاهات المعاصرة، ٧٨؛ الرديني، فصول في علم اللغة، ٢٤؛ فضل، مقدمة في اللسانيات، ٦٤. وقد عرف سوسير اللغة بأنها ظاهرة اجتماعية عامة لا يستغني عنها المجتمع الإنساني، وهي تخرج عن نطاق الفرد، فلا يستطيع بمفرده أن يبتدئها ولا يمكنه تعديلها وهي أيضاً نظام من الرموز المتباينة التي تعبّر عن أفكار مختلفة، وهي شيء ممكن أن تدرس منفصلة عن الكلام، وتختلف اللغة المعينة *la langue* ويتصد بها عادات مجتمع معين للتواصل وتبادل التفاهم والأفكار. ولذلك ميز بين الكلام *la parole* بوصفه نشاطاً عضلياً صوتياً لدى الفرد بشقيه النفسي والاجتماعي، ولذلك كان تقسيمه للغة كالآتي: أولاً: اللغة بشكل عام *la language* وهي القواعد العامة للغة، وهي نظام مشترك يحدد ملامح كلام أعضاء هذه المجموعة، وهي تتضمن الكلام الفردي والقواعد العامة للغة؛ ثانياً لغة الفرد أو كلامه *la parole* وهي اللغة التي يتكلمها الفرد وتصدر منه عن وعي وليست واقعة اجتماعية.

القدامي العرب.^{١٦} وثمة قضايا تناولها المعاصرون العرب توصلوا عبرها إلى نتائج مهمة أثبتت أن الفكر اللغوي العربي له بدايات في ذكر كثير من القضايا المتعلقة بالمباحث اللغوية المعاصرة، سواء من ناحية المناهج الوصفية البنوية أم التوليدية التحويلية أم تعاريف اللغة أم في موضوع الجهود النحوية التي قام بها العلماء قديماً. أما القضايا التي أسهم فيها القدامي العرب في مجال اللسانيات فهي كما يأتي:

تعريف اللغة: اهتم العرب القدامي بتعريف اللغة، وذكروا تعريفات عدة للغة تتفق أحياناً مع ما طرحه المعاصرون الغربيون، فمثلاً أشار الكياهرّاسي إلى أن الكلام حرف وصوت... إلى قوله: «وكان الأصل أن بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه، غير أنه لا يمكن ذلك؛ لأن هذه الكلمات متناهية، وكيف لا تكون متناهية ومواردها ومصادر متناهية».^{١٧}

ونجد عبارة (موارد اللغة ومصادر متناهية)، تشابه ما ذكره همبولت الذي ركز على الجانب الخلاق في اللغة وتختلف اللغة في الجزء الثاني المتناهي في الكلمات المتناهية، وربطها بالعقل عبر منهج توليدي، وأن اللغة عمل العقل؛ ولذا ثمة عوامل تكمن تحتها وهو شكل اللغة الخارجي (الآلي) وشكل اللغة الداخلي (عضوي)، والشكل الداخلي العضوي هو الأهم عنده لأنه يتطور من الداخل فهو البنية العميقة لما يحدث على السطح.

التضيق بين اللغة واللسان واللغة والكلام بين دي سوسير والجرجاني: فرق دي سوسير

١٦- انظر: ج برجستراشر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢م)؛ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب (القاهرة، د. ط، ط، ١٩٧٢)، وطبعة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢)؛ يوهان فك، يوهان، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠).
١٧- انظر: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها (القاهرة: مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت) ١: ٢٦-٢٧.

بصورة سمعية (الدال) ورمز لكل منهما بالمعادلة الآتية: مدلول signifie ودال significant حيث الدور للأصوات بوضع الرمز اللغوي في مكان محدد في متواليات من الأصوات، وهذا الرمز ما هو إلا جمع نفساني بين دال أو مدلول، ويقصد بذلك أن الدال لا يوجد متحداً مع مدلول، وعند انعدام المزج بينهما لا تبقى إلا الصورة السمعية أو الذهنية أو النفسانية لمتواليات من الأصوات، فمثلاً نجد في اللغة العربية الأفعال: (كتب، جلس) تشير إلى دال أو تصور يمتزج بالمدلول، ويمكن تشبيه العلاقة بين التصور (الدال) والكلمة (المدلول) بالورقة التي لها وجهان، الوجه الأول هو الدال والوجه الثاني هو المدلول (الوجه والظهر للورقة). لذلك لا يمكن وجود وجه للورقة دون وجود ظهرها، ولذلك يستحيل وجود مدلول دون وجود دال.^{٢٣}

بمعنى آخر يرمز للرمز اللغوي تارة بالعلامة اللغوية، حيث جعل سوسير اللغة نظاماً من العلامات، والبحث العلمي يؤمن بوجود أشياء محدودة ومعينة، وما يعبر به الناس عن اللغة يعد مستودعاً من العلامات اللغوية ففهمها الناس على أنها مفردات اللغة أو الصلة بين اللفظ والشئ الطبيعي onomatopoeia، وهذه العلامة اللغوية لا تصل الشئ

العلاقة بين الكلمات في التعبير: أشار سوسير إلى العلاقة بين الكلمات في قوله: «وفي الخطاب تقييم الكلمات ضمن تعاقدها فيما بينها علاقات مبنية على صفة اللغة الخطية تلك التي تستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن، وهذان العنصران إنما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر ضمن السلسلة الكلامية، ويمكن تسمية الأنساق التي يكون المدى لها تراكيب»^{٢٠} ويؤكد الجرجاني في نظريته في النظم أنه لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، حيث عبر عن فكرة نظام اللغة حيث ترتيب الكلام في النفس، ثم انتقاء كلمات عدة، وهذا الترتيب يخضع لقواعد اللغة وفق الدلالة العقلية للكلمات.^{٢١}

فكرة النظم عند الجرجاني هو تصور العلاقات النحوية كالعلاقة بين المسند والمسند إليه، ونظر الجرجاني للكلمة قبل دخولها التأليف وقبل أن تصير كلمة لها معنى الإخبار أو الأفراد أو التعجب، ورأى أنها في حالة الأفراد تفقد خصوصيتها، ورأى أن الألفاظ سمات لمعانيها، ولذا لا يتصور أن تسبق الألفاظ معانيها، وذلك ضرب من المحال.^{٢٢} ونظر الجرجاني إلى أن الفكر لا يتعلق بمعاني الألفاظ نفسها، وإنما بما بين المعاني من علاقات؛ وبذلك كانت نظرية النظم عملية توفيق بين الشكل المادي للصياغة والجانب العقلي للمعنى عبر الاستعانة بالنحو وتحويله إلى أحداث.

العلامة اللغوية: تناول سوسير العلامة بين اللفظ والمعنى ورأى أنها علامة اعتباطية حيث بين سوسير أن الرمز اللغوي اتحاد تصور مع صورة (سمعية أو ذهنية أو نفسية)، ويميز بين الكلمة والشئ، ويقصد بالكلمة ما نسمعه أو نطقه أو نكتبه أو نقرؤه، وهي المظهر التعبيري الحسي لما يتمثل بالرمز اللغوي، وأشار سوسير إلى أن التصور concept وهو المدلول يتم التعبير عنه

٢٠- انظر دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، ١٥٦.

٢١- انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٥٤.

٢٢- انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٢٨٩-٢٩٠.

٢٣- انظر ما ذكره سوسير بتفاصيل حول هذين المنهجين مع الأمثلة التي تؤكد على ما يرنو إليه في كتابه «محاضرات في علم اللسان العام»، ترجمة عبد القادر قنيني، ٨٥، ص ١٠٥-١٢٧، وقد ذكر أمثلة تؤكد منهجية الدراسة التاريخية عبر تطور الكلمة اللاتينية crispus بمعنى جعد، واشتقاق اللغة الفرنسية منها الأفعال: وهو الجذر crepir بمعنى الطلي بالطين، ومثال آخر له صفة العموم مثل: gast في الألمانية القديمة التي تعني (ضيف) وجمعها gastii، وكذلك الحال بالنسبة للفظ hant بمعنى (يد) وأيد بمعنى hanti حيث كان للحرف الصاوت أثر في تغيير المعنى وهكذا. انظر ما ذكره العلماء الآتية أسماؤهم حول المنهجين الذين تناولهما سوسير كما يأتي: الحناش، البنيوية، ١٨٥؛ دراج، الاتجاهات المعاصرة، ٧٩؛ حسام الدين، أصول تراثية، ٥٤؛ سامبسون، المدارس اللغوية، ٢٩؛ عمارة، في نحو اللغة، ٤٠-٤٢؛ الراجحي، النحو العربي، ٢٤؛ عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦) ٢١؛ رمزي منير بعلبكي، فقه اللغة المقارن (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤، د. ت) ٢١؛ حسنين، دراسات في علم اللغة، ٦٤، وغيرها من المراجع الحديثة الكثيرة التي اعتمدت على ما ذكره محمد الحناش في كتابه «البنيوية في اللسانيات» وما ذكره المترجمون لكتاب سوسير بطريقة تكاد تكون متشابهة مع اختلاف في أسلوب الطرح وفتيته.

وهذا ذكره سوسير عندما رأى أن التركيب لا ينطبق على الكلمات فحسب، ولكنه ينطبق أيضا على مجموع الكلمات والوحدات المعقدة من المقاييس والأصناف كافة كأقسام الجملة والكلمات المركبة والمشتقة، ولا يكفي العلامة الرابطة بين أجزاء التركيب ولكن يؤخذ بعين الاعتبار العلاقة التي تربط الكل بأجزائه، أي أن الجمل لها دور تؤديه في نظام الكلام، وقد أكد ذلك سوسير عندما أشار إلى المركبات الترتيبية والعبارات النحوية.^{٢٩}

في ضوء ما ذكرناه يلاحظ أن مصطلح التأليف لدى الجرجاني يتفق مع مفهوم التركيب لدى سوسير من حيث اختيار الكلمة في العقل ثم اختيار الكلام المرتبط في هذه الدلالة، وأن الكلمة بعد ذاتها لا تحمل دلالة إلا إذا ضمت إلى كلمة أخرى تكون معها البناء أو التركيب، حيث أشار إلى هذا المعنى أيضا سوسير عندما بين بأن الكلمات المتفرقة لا معنى لها داخل التركيب إلا إذا اجتمعت في وحدات متداخلة، وأن الكلمة لا تفضل الكلمة الأخرى عند الجرجاني إلا في حالة وجود دلالة تربط المعنى بمدلوله، بينما سوسير يؤكد على أنه لا معنى للعلامة إلا بعلاقتها بما ترتبط به من معنى كلي، والصورة الكلامية عبر النص لا تتحدد إلا من الوظيفة التعبيرية للجملة كالإخبار والاستفهام، وأما دي سوسير فيرى أن الجمل لها دور في تحديد نظام الكلام أي نوع الجملة التي يقوم فيها المتكلم باختيار الضمير في الفرنسية (كم) للتمييز المراد في الموضع المعين.^{٣٠}

٢٩- انظر: دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، ترجمة عبد القادر قتيبي، ٩. وفي ١٦٦ من هذا الكتاب ذكر سوسير مثلا يؤكد ما ذهبنا إليه من ذكره للعبارة: que vous dit-il والتي تعني في العربية: ماذا قال لكم، حيث يستبدل عنصرا من نماذج محور المركب الترتيبي، وهو قولك مثلا في الفرنسية: il te dit que في العربية: ماذا قال لك؛ أو: que nous dit-il أي: ماذا قال لنا. ثم ذكر سوسير استقرار المتكلم على الضمير المتصل (كم) vous. ٣٠- انظر ما ذكره محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩) ٢٦-٢٧، وقد أشار المؤلف إلى ما أشرنا إليه واستفدنا منه مباشرة ولكن بصيغة تختلف نوعا ما عما كتبه.

باللفظ ولكنها تصل التصور بالصورة السمعية.^{٣١} من جانب آخر أشار الجرجاني إلى موضوع العلامات والسمات، وأنه لا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه، وهو بذلك يشير إلى الدال والمدلول الذي ذكره سوسير.^{٣٢} ولتوضيح ذلك أكثر، ذكر سوسير معنى لفظ الأخت soeur بأنه ليس مرتبطا بأي علامة قد نتخيلها داخل سلسلة أصوات لفظة الأخت: s-Ō-r وهي أصوات اتخذت وسيلة كصوت دال، لأنه يمكن لهذه العلامة تصور بأية سلسلة أخرى من الأصوات تكون دالة.^{٣٣} ولذلك رأى كل من الجرجاني وسوسير أن الصوت لا معنى له إلا إذا حمل بعدا دلاليا، وأن الدلالة اللغوية ما هي إلا اصطلاح وتواضع اجتماعي يقتضيه الفكر وأن الاختلاف بين اللغات يكون بسبب الاختلاف بين الدال والمدلول والعلاقة بينهما عند كل قوم.

ومن ناحية أخرى أشار ستيف أولمان إلى فكرة دراسة علم الدلالة تكون في العلاقة بين العلامة (signe) أي اللفظ أو الكلمة، والمدلول عليه، وهو ما دل على معنى الشيء المعنى.^{٣٤} وهذا المعنى يفسر لنا الوظيفة الدلالية والوظيفة الصوتية داخل التركيب، وهي تعبر عن العلاقة الجدلية بين اللغة والفكر. أشرنا إلى فكرة نظرية النظم لدى الجرجاني، وهي فكرة تقوم على أساس الترابط والنظام في النظام اللغوي وتحديث بإرادة المتكلم، حيث يقول الجرجاني: «فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة وبناء لفظة إلى لفظة، هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبها على ما هي موسومة».^{٣٥}

٢٤- انظر ما ذكره حول هذا الموضوع في: سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ١٤٥؛ ودراج، الاتجاهات المعاصرة، ٨١؛ الحناش، البنيوية، ٢٠٠-٢٠٤. ٢٥- نظر: الجرجاني، أسرار البلاغة، ٣٥٦. ٢٦- انظر: دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، ٨٨. ٢٧- انظر: أولمان، ستيف، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ط ١٢، ١٩٩٧) ٧٦. ٢٨- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ٤٧.

بعلبكي، رمزي منير، *فقه اللغة المقارن*، بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، د.ت.

جماعة من أساتذة اللغة، *كيف تتعلم اللغة الفرنسية بدون معلم*، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، ١٩٦٣.

جوزيف، جون، *اللغة والهوية: قومية-إثنية-دينية*، ترجمة: عبد النور خرايف. الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠٧.

حسام الدين، كريم زكي، *أصول تراثية في علم اللغة*، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٢، ١٩٨٤.

حسنين، صلاح الدين صالح، *دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن*، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٤.

الحسيني، محمد علي، *علم اللغة التوحيدي بين النظرية والتطبيق*، طهران: سلسلة كتاب التوحيد، ط ١، ١٩٩٧.

الحناش، محمد، *البنوية في اللسانيات*، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٩٩١.

دراج، أحمد، *الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية*، القاهرة: مكتبة الرشد، ٢٠٠٢.

دي دي سوسير، فرديناند، *محاضرات في علم اللسان العام*، ترجمة: عبد القادر قتيبي (من الفرنسية)، مراجعة: أحمد حبيبي. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٨٧.

دي سوسير، فرديناند، *دروس في الألسنية العامة*، ترجمة: الفرماوي، صالح، وعجينة، محمد، والنصر، مجيد. طرابلس/لبنان: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥.

دي سوسير، فرديناند، *فصول في علم اللغة العام*، نقله إلى العربية: (من الإنجليزية) أحمد نعيم الكراعين. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥.

وهذا الذي ذكرناه أشار إليه مالمينوفسكي ودي سوسير كما أشرنا إليه في جهودهم في نظرية السياق.^{٢١}

أن ما جاء به الغربيون كسوسير وفيرث وبلومفيلد وغيرهم أشار إليه القدامى المسلمون العرب، ولا سيما عبد القاهر الجرجاني وابن خلدون وبعض النحاة كابن هشام وسيبويه وغيرهم، حيث اختلفت المنهجية في عرض الحقائق اللغوية عن المعاصرين.

المصادر والمراجع:

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *الخصائص*، تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٦.

آل عيال، مصطفى، *الإيطالية من غير مُعلم*، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٠.

أولمان، ستيف، *دور الكلمة في اللغة*، ترجمة: كمال بشر. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ط ١٢، ١٩٩٧.

إيلوار، رونالد، *مدخل إلى اللسانيات*، ترجمة: بدر الدين قاسم. دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٠.

برجستراشر، *التطور النحوي للغة العربية*، ترجمة: رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٢.

٢١- تناول فيرث السياق وتعرض إلى المعنى وقال بأن نقل الفكرة من المتكلم إلى السامع لا يكون إلا بمعزل عن مقتضى الحال، وتناول مثلا السياق الاجتماعي بقوله: (تمر الطائرة الآن في منطقة مطبات هوائية، يرجى ربط أحزمة المقاعد)، فالسياق الذي قيل فيه النص يؤكد على أن القول جاء في سياق رحلة جوية. انظر: شاهر الحسن، *الحسن، شاهر، علم الدلالة: السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية* (عمان: دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠١م) ١١٠؛ قدور، مبادئ اللسانيات، ٢٩٠؛ حضري سامبسون، *المدارس اللغوية: التطور والصراع*، ترجمة أحمد نعيم الكراعين (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د. ت) ٢٢٦؛ حيث ذكر سامبسون أن مالمينوفسكي قد ذكر أن اللغة أداة تخدم حاجات المجتمع ولها وظيفة سياق الحال كما ذكر في كتاب *The meaning of the meaning* لأوجدن ريتشارد؛ أما مالمينوفسكي فقد قال بأن الفكرة القائلة حول اللغة بوصفها وسيلة لنقل الأفكار للمتلقى خرافة مضللة، واللغة عنده واقع عملي وحلقة اتصال في النشاط بين البشر.

- كورشونوفا، يادفيغا، والشهباز، عبد السلام علي، كتاب المحادثة المدرسي: عربي-روسي، موسكو: دار اللغة الروسية للنشر، ١٩٨٦.
- ماريويباي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر. القاهرة: عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٧.
- المتوكل، أحمد، «نظرية المعنى في الفكر اللغوي العربي القديم»، مجلة آفاق، ٨٤ (١٩٨١): ٧٦-.
- مونين، جورج، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، دمشق: وزارة التعليم العالي، ١٩٨٢.
- نهاد، الموسى، نهاد، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، عمان: دار البشير، ط٢، ١٩٨٧.
- المصادر الأجنبية:**
- Barthes, R. 1983. Elements of Semiology, Translated by A. Lavers and C. Smith, Hill and Wang, New York.
- Chomsky, Noam. 1960. Cartesian Linguistics, New York.
- Ferdinand de Saussure. 1993. Pengantar Linguistik Umum, Penerjemah: Ajid Che Kib, Dewan Bahasa dan Pustaka, Kenenterian Pendidikan Malaysai. Kuala Lumpur.
- Karim, Nik Safiah., Farid Onn, Hashim Musa, Abdul Hamid Mahmood. 1995. Tatabahasa Dewan, Dewan Bahasa Pustaka, Kuala Lumpur.
- Robins. H. 1997. Short History of Linguistics, Longman, London.
- الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨.
- الرديني، محمد علي عبد الكريم، فصول في علم اللغة العام، بيروت: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٢.
- زكريا، ميشال، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢.
- سامبسون، جفري، المدارس اللغوية: التطور والصراع، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.ت.
- سعد الله، محمد سالم، مملكة النص: التحليل السيميائي للنقد البلاغي، عمان: جدارا للكتاب العالمي، ٢٠٠٧.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، القاهرة: مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.
- عباس، محمد، ال أبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٩.
- عمامرة، خليل، في نحو اللغة وتراكيبها، جدة: عالم المعرفة للتوزيع، ١٩٨٣.
- عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢.
- الغذامي، عبدالله، الخطيئة والتفكير، د. ط، ١٩٩١، ط٢.
- فضل، عاطف، مقدمة في اللسانيات للطالب الجامعي، عمان: دار الرازي، ط١، ٢٠٠٥.
- فك، يوهان، يوهان، العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: رمضان عبد التواب. القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠.
- قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٩٦ م.